

الأمير الصغير يعود إلى كوكبه مؤمناً بأن زمن الأطفال سيأتي

للخطاطين وإعجابه بصنعيهم الفني الذي يعتبره الصنيع الجمالي الكامل. ولطالما كان يعنى بتحسين خطه وتطوير علاقته بالأقلام التي يكتب بها. ولأنني فارقته منذ ربع قرن فلا أدري كيف تعامل مع زمن الكتابة من خلال الكمبيوتر. الأقرب إلى توقعي أنه لم يتخل عن عادات الخطاطين الذين يكتبون كلاماً مقدساً. لم يكتب مهدي بكتابة الحكايات التي كانت فريدة بأسلوبها الحديث القائم على لغة شخصية لم تكن غامضة بالرغم من أنها كانت مشدودة ومتوترة ومقتضية، بل كتب الموسوعات المبسطة والعميقة والشاملة في الوقت نفسه.

ويمكن اعتبار "موسوعة الطيور" أهم تلك الموسوعات إذ إن مهدي لم يترك طيراً إلا وذكره بطريقة مفصلة ونشر صورة له. وبالرغم من أن تلك الموسوعة كانت موجهة إلى الأطفال غير أن ما أتوقعه أن موسوعة شبيهة لم تصدر باللغة العربية.

هل كان شقيق مهدي عالم طيور؟ كان حريصاً على الدقة العلمية غير أنه في علاقته بالطيور كان شاعراً. كان مأخوذاً بالأسطورة التي يظهر فيها الأطفال محاطين بالطيور. وقد لا يصدقني الكثيرون إذا ما قلت إن شقيق كان يبكي حين يرى طائراً في قفص.

في ذلك الزمن كنا نضحك من رهافة حس شقيق، غير أنني أبكي حين أتذكرها الآن. ما لم ننتبه إليه أن شقيق كان متمكناً من لغة الكائنات، وإذ يبكي فإنه يفكر بالوكالة عن الطائر في الحرية.

كنا نعمل معا ونفترق جمعنا بحكم الزمن وما حمله من أوجاع، غير أن شقيق مهدي كان الوحيد الذي ظل متمسكاً بحلم الطفولة النقي والصافي الذي لم تولته الأحداث المؤلمة فكان في أحاديثنا الأخيرة يلخ علي أن أزيد بمعلومات شخصية لكي يضمها إلى موسوعته عن ثقافة الأطفال في العراق، "هذا هو مشروع الكبير الأخير"، لم يكمله.

كان ذلك مشروع نبهه ووفائه لمشروع ثقافي أحدث صدى عظيماً في العالم العربي باعتباره مشروعاً رائداً كان العراق مركز إشعاعه وكان شقيق أحد رواده المهمين.

بموت شقيق مهدي مات آخر الأطفال المسلحين ببراءة تقاوم الزيغ والتضليل والتفاهة. كان سليلاً نقياً الذي اخترعه الكاتب الفرنسي أنطوان دي سانت أكوبري. فحين شعر ذلك الأمير بالباس من إصلاح الأرض عاد إلى كوكبه وهو ما فعله مهدي متخذاً من فيروس كورونا سبباً.

لقد غادرنا شقيق مهدي بانساً مثلما فعل الأمير الصغير، ولكن وصيته لن تغيب. سيأتي زمن الأطفال الذين سيعمرون الكون ببراءتهم.

فاروق يوسف
كاتب عراقي



هذه المرة أخطأ فيروس كورونا هدفه وضرب طفلاً. فشقيق مهدي الذي اختطفه الموت عن عمر ناهز الخمس والسبعين سنة هو طفل بالمعاني المثالية للطفولة. ليس لأنه قضى حياته وهو يكتب حكايات للأطفال فحسب، بل وأيضاً لأن الطفولة كانت جوهر حياته فلا يكفي أن يوصف بأنه كان طفلاً كبيراً بل هو الطفل الأكثر براءة ونزاهة وفضولاً في العالم. لم يكن لديه ما يفعله في الحياة سوى الدعوة إلى الحفاظ على الطفولة من جهة كونها الأساس الصحي الذي تنبني عليه شخصية الفرد وعدم تدميرها من خلال الرّجّ بها في مغامرات عبثية، تخطئ المجتمعات من خلالها طريقها إلى المستقبل.

شقيق مهدي كان يقدس الكتابة لذا كان يغسل يديه ويقرأ آيات قصيرة من القرآن قبل أن يشرع في الكتابة

كان الكاتب العراقي شقيق مهدي يقف عند حدود النبوءة بذلك المستقبل من خلال تربيته للطفولة والدفاع عن كونها. فكان داعية لقيام مجتمع يرعى أطفاله باعتبارهم أساس مستقبله. كتب شقيق مهدي عشرات الكتب القصصية للأطفال وأنجز في نهاية حياته كتابه الذي هو أشبه بالحلم "ألف حكاية وحكاية". وكما هو واضح فإن ذلك الكتاب كتب على غرار الحكايات العربية غير أن حكاياته كانت موجهة إلى الأطفال.

ومنذ أن عرفته قبل عقود انتبهت إلى شغفه العميق بانسنة الأشياء والمخلوقات ومفردات الطبيعة والكون. كنت على يقين من أنه حين يُترك وحيداً كان ينصت إلى أصوات لم تكن بشرية تنبعث من حوله.

وكما أتوقع فإن الطفل الذي يقيم في داخله لم يتخل عنه حتى آخر نفس من أنفاسه. لقد ودعه أولئك الأطفال غير المرئيين الذين رافقوه عبر سنين حياته وكانوا أصدقاءه قبل أن تودعه عائلته. فهو حبيبهم ونموذجهم ورسولهم الذي لم يسلبه الواقع العراقي المرحم حواسه للدفاع عنهم.

كان شقيق مقدس الكتابة فكان يغسل يديه ويقرأ آيات قصيرة من القرآن قبل أن يكتب. وهي عادة اكتسبها من رفقة



فنانة صاحبة منجز موسيقي فريد من نوعه

رحيل مفاجئ للمغنية السورية ميادة بسيليس

فنانة خلقت ذائقة مختلفة وسط فوضى الساحة الفنية العربية

والجائزة الذهبية لأفضل أغنية عربية 1999 عن أغنية "كذب حلو". تميزت بسيليس بحفاظها على وقار الفنان، فرغم جمالها الشديد كانت تعتمد فقط على موهبتها الطريفة، ولم تلجأ ذات يوم لتصوير كليبات غنائية مثيرة لطمعاً في المزيد من الشهرة والانتشار، لذا اجتذبت حب وثقة الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج.

حرصت ميادة على تطوير أدائها بين الحين والآخر، كما شهدت اختياراتها الفنية تنوعاً كبيراً، واستقبل الجمهور أغلب أعمالها بترحاب شديد. مرور الأيام والتجارب، أصبحت ميادة مطربة من العيار الثقيل، وتجربة فنية فريدة من نوعها في عالم فني مليء بالابتذال كانت هي نقطة الضوء بأعمالها الجادة.

الفنانة حرصت على تطوير أدائها ونوعت اختياراتها الفنية فاستقبل الجمهور أغلب أعمالها بترحاب كبير

في عام 2010 صدر لها اليوم بعنوان "إلى أمي وأرضي" وهو عمل تأخر موعد صدوره كثيراً ولكنه كان في المستوى الذي أمله واعتاده جمهور ميادة منها.

مشروع فني استثنائي سواء في تجديده أو في تطوره المستمر مجافياً للخرطة الحلبية الغارقة في منطقة القدود جيلاً وراء جيل، هكذا خضعت مغامرة الفنانة ميادة بسيليس وسفير كوفياتي إلى مفاهيم مختلفة، نجحت كوفياتي في دار الأوبرا في مدريد، وبإسبانيا ودار الأوبرا المصرية. ومن أشهر أغانيها تذكر "بلقي في حكي" و"راح دايماً أهواك" و"خليني على قدي" و"أحسنتك تروح" و"نشو تأملت" و"مين قالك".

وحصدت الراحلة عبر مسيرتها الفنية عدداً من الجوائز المحلية والعربية منها الأورنيما الذهبية ثلاث مرات والجائزة الأولى في مهرجان الموسيقى العربية في الدار البيضاء والجائزة الذهبية لأفضل أغنية مصورة والذهبية في مهرجان القاهرة وغيرها.

في مدينة حلب السورية ولدت ميادة في 1 يناير 1967، وبرزت موهبتها في الغناء منذ الصغر ولمع صوتها في أداء الترانيم الدينية المسيحية، كما سجلت حضوراً مبكراً في عالم الفن بعمر التاسعة عبر إذاعة حلب. إلا أن بدايتها الحقيقية كانت عندما بلغت من العمر 22 عاماً، إذ أعلنت عن نفسها جيداً من خلال غناء عدد من الأعمال الفلكلورية الوطنية.

لتقدم بعد ذلك على امتداد مشوارها 14 ألوماً غنائياً كان أولها اليوم "قاتلي بالهجر"، إضافة إلى أغاني المسلسلات التلفزيونية.

سنة 1986 قدمت مجموعتها الأولى "يا قاتلي بالهجر"، تبعها سنة 1990 بتقديم مجموعتها الثانية بعنوان "خلقت جميلة"، وتوالى مجموعاتها الغنائية التي تذكر من بينها "أبانا" (ترانيم دينية) 1993، "بلقي في حكي"، "شجرة العيد" (أغاني ميلادية)، "حين"، "مريميا"، كما قدمت مجموعة أغاني وطنية باسم "أجراس بيت لحم".

وعندما أدرك صناع الدراما تأثير صوتها على الجمهور، تمت الاستعانة بها في غناء شارات ما يقرب من 10 مسلسلات درامية أبرزها "جواد الليل"، "أيام الغضب"، "أبناء القهر"، "نساء صغيرات".

شاركت في العديد من المهرجانات الموسيقية وقدمت حفلات غنائية في سوريا والمغرب ومصر والولايات المتحدة وغيرها.

وأحيّت بسيليس عدداً كبيراً من الحفلات داخل سوريا وخارجها، بينها حفلة في مجمع "قصر الفنون الجميلة" في مدينة سان فرانسيسكو الأميركية، وأخرى في دار الأوبرا في مدريد بإسبانيا ودار الأوبرا المصرية. ومن أشهر أغانيها تذكر "بلقي في حكي" و"راح دايماً أهواك" و"خليني على قدي" و"أحسنتك تروح" و"نشو تأملت" و"مين قالك".

وحصدت الراحلة عبر مسيرتها الفنية عدداً من الجوائز المحلية والعربية منها الأورنيما الذهبية ثلاث مرات والجائزة الأولى في مهرجان الموسيقى العربية في الدار البيضاء والجائزة الذهبية لأفضل أغنية مصورة والذهبية في مهرجان القاهرة وغيرها.

القى الحزن بظلاله الكئيبة على الوسط الفني في سوريا والعالم العربي بعد رحيل الفنانة ميادة بسيليس صاحبة الموهبة الاستثنائية في عالم الغناء، والتي مثلت برفقة زوجها الموسيقي سمير كوفياتي مشروعاً فنياً استثنائياً في عالم فني شاب التسرع والإثارة والأغاني الهابطة، بينما رسّخت الفنانة مشروعها على استعادة رقي الفن والفنان، وهو ما نجحت فيه باقتدار.

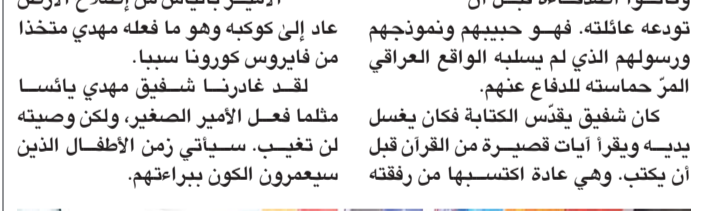
بجيل الكبار وبالفن الملتزم بقضايا الإنسان بعيداً عن السطحية والركض وراء الشهرة والإثارة. اختارت بسيليس طريقاً مختلفاً في عالم الغناء، طريق يقوم على دقة اللحن وجزالة الكلمة والاختيارات الدقيقة والمدروسة للمواضيع، إضافة إلى إعادة تادية أهم الأغاني التراثية السورية والعربية بروح أخرى جديدة. وكانت الفنانة السورية الراحلة علامة مضيئة في الخارطة الموسيقية السورية باشغالها في منطقة غنائية شديدة الغراء والخصوصية، هي مزيج من التريل الكنسي والطهرانية وخفر العشق. تجربة نوعية اخترقت الساحة الغنائية السورية بخطوات مدروسة صنعها بمهارة رفيق دربها الموسيقار سمير كوفياتي، بكلمات والحان تنأى عن أغاني الملاهي والأعراس والديكة.

لم تكن بسيليس سليلة القدود الحلبية وحدها كي تترك إلى الموروث، فها هي أغنية تخترق الأذن والوجدان وسلم موسيقي آخر يتطلع إلى حداثة مفارقة تجاور مناخات زياد الرحباني حيناً وتبتعد عنها طوراً، أغنية محكمة بجغرافيا مغلقة، لكنها تمكّنت من عبور الحدود نحو مهرجانات نوعية في مختلف عواصم العالم، نظراً لخصوصيتها وتمردتها على السائد. وإذا بالتطريب يذهب إلى أماكن قصية لا تخضع للتسليع والموضة. تكمن أهمية هذه التجربة إذاً، في مخاطبة ذائقة مختلفة وسط فوضى الساحة الفنية العربية.

رحيل مفاجئ
نعى بسيليس الألاف من أصدقائها ومحبيها ومتابعيها، بينهم الفنان أيمن زيدان الذي وصفها بـ"الأيقونة المبدعة" وكتب زيدان على صفحته الشخصية على فيسبوك "لنزداد الما وحرقة في هذه الأيام السيئة، أيقونة الفن السوري النجمة ميادة بسيليس في ذمة الله.. قلوبنا مع الأستاذ سمير كوفياتي والعائلة. العزاء لهم ولنا بنجمتنا التي ارتقت إلى السماء". وأضاف "تهزمني الكلمات وأنا أشيح قطعة من القلب".

كذلك نعاهم فنانون آخرون مثل باسم ياخور الذي كتب على فيسبوك "كم هو محزن خبر رحيلك أيها الفراشة. وداعاً ميادة بسيليس". كما كتب المقدم التلفزيوني السوري مصطفى الأغا على تويتر "رحيل محزن وصادم لنجمة الغناء السوري ميادة بسيليس بعد صراع مع مرض السرطان.. هزمها المرض ولكنها سبقتني في الذاكرة دائماً وأبداً".

ونعاه كذلك عدد من الفنانين السوريين عبر وسائل التواصل الاجتماعي منهم المغنية نانسي زعبلاوي والممثل عباس النوري والمخرجة واحة الراهب والإذاعي جورج غرام وغيرهم ممن كان رحيل الفنانة الاستثنائية بمثابة الصدمة لهم. التأثير الكبير الذي تركه فقد الفنانة يعود إلى أهميتها كفنانة مختلفة صوتاً وأداءً وحضوراً عن السائد، فنانة تذكر



كاتب كان يبكي إذا رأى طيراً في قفص